الْمَضَامِينُ الدَّعَوِيَّةُ فِي قِصَّةِ نَبِيِّ الله مُوسَى ﷺ مَعَ فِرْعَوْن

د. مرزوق سليم اليوبي

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المملكة العربية السعودية

المستخلص

يتناول البحث موضوع دعوة موسى عليه السلام، من خلال التعريف به، وظروف بعثته، وبيان ملامح دعوته، والوقوف على أبرز القضايا العقدية في دعوته، مع ذكر لبعض صفاته وأخلاقه في دعوته لفرعون وقومه، وأهم الأساليب والوسائل التي استخدمها في تبليغ رسالة ربه.

ويهدف البحث إلى التعريف بنبي الله موسى عليه السلام، والوقوف على أهم القضايا في دعوته المتعلق بالتوحيد، وذكر لبعض صفاته وأخلاقه، مع التعريج على بعض الوسائل والأساليب التي استخدمها في دعوته.

وسلكت في هذا البحث كل من المنهج الاستقرائي، والاستنباطي، والوصفي.

وخلصتُ إلى عدة نتائج أهمها: اشتراك دعوة الرسل جميعاً عليهم الصلاة السلام في أصل واحد، هو الدعوة إلى توحيد الله جل وعلا، ثم إن الكفر ملة واحدة؛ فنرى أن موقف الكفار والمشركين مع كل نبيٍ واحد، وهو موقف العناد والتجبر والتعنت، وأن اتباع الشيطان والهوى وشهوات الدنيا سبب رئيس في إعراض الخلق عن الحق، كما ظهر لنا قدرة النبي موسى ﷺ على الإقناع بالحجة النظرية، كما أن الحجة العملية لها أثرها البليغ في تبليغ الدعوة للمدعوين، مع وجوب التدرج بالوسائل والأساليب في دعوة الناس؛ لاستمالة قلوبهم نحو الحق، ولم يدع أحد الربوبية غير فرعون، وهذا الادعاء كان في الظاهر لا في الباطن، فوجود الله تعالى أمر مستقر في كل نفس، وينبغي أن يكون الدعاة على قدر من الصبر والتحمل، وأن يدركوا أهمية الدعوة ووجوب تبليغها بإخلاص وأمانة، وأن يطلبوا العون من الله تعالى.

Summary

The study deals with the topic of Moses's call, peace be upon him, by introducing him, the circumstances of his mission, explaining the features of his call, and standing on the most important doctrinal issues in his call, with mentioning some of his qualities and morals in his call to Pharaoh and his people, and the most important methods and means he used in communicating the message of his Lord.

The research aims to introduce the Prophet of God Moses, peace be upon him, and to find out the most important issues in his call related to monotheism, and mention some of his qualities and morals, along with counting some of the means and methods that he used in his call.

And I followed in this research all of the inductive, deductive, and descriptive approach.

I concluded with several results, the most important of which is: The call of the Messengers, peace be upon them all, shared one principle, which is the call to the monotheism of God Almighty, and then disbelief is one religion. We see that the position of the unbelievers and the polytheists is with each prophet one, which is the position of stubbornness, arrogance, and intransigence, and that following Satan, passion and worldly desires is a major reason for turning people away from the truth, as it was shown to us the ability of the Prophet Moses ﷺ to persuade the theoretical argument, and the practical argument has an eloquent effect in communicating the call For the invitees,

With the necessity of gradual means and methods in calling people; To incline their hearts towards the truth, and no one called on the deity except Pharaoh, and this claim was apparent not in the interior, for the existence of God Almighty is a stable matter in every soul, and the preachers should have a degree of patience and endurance, and they should realize the importance of the call and the necessity to communicate it sincerely and honestly, and that They ask for help from God Almighty.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،،

فإن الأنبياء جميعًا بعثهم الله تعالى لتبليغ الرسالة، وأداء الأمانة إلى الناس جميعًا، فهم صفوة خلق الله تعالى المبعوثين إلى البشر جميعًا.

وقد حفل القرآن الكريم بكثير من قصصهم مع أقوامهم الذين بعثهم الله إليهم، والطريقة التي استخدمها أولئك الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم، ومقابلة ما وجدوه من أذى بالصبر، حتى بلَّغوا دين الله الذي بعثهم به، ومن أولئك الأنبياء الذي حوى القرآن الكريم الكثير من قصصه: نبي الله موسى ﷺ.

أسباب اختيار الموضوع:

من خلال البحث في قصة نبي الله موسى ﷺ، وجدت تشابهاً بين دعوته ودعوة النبي محمد ﷺ، ولهذا –والله أعلم– نجد أن قصة موسى ﷺ من أكثر القصص ورودًا في القرآن الكريم، ويتمحور هذا التشابه في الدعوتين؛ في أن كلاً منهما بعث في قوم وثنيين، وأن كلاً من الرسولين الكريمين، كانا حريصين على هداية قومه، وردهم إلى العقيدة السليمة الخالصة من الشوائب، كغيرهم من الأنبياء المصطفين الأخيار.

كذلك نجد في قصة موسى ﷺ اختلاف أصناف المدعوين الذين دعاهم إلى الله؛ فهو دعا الملأ من قوم فرعون، ودعا السحرة، ودعا بني إسرائيل.. وهذا التنوع يعطي الداعية معرفة واسعة بالطريقة المناسبة لكل صنف.

ومما يزيد الموضوع أهمية أيضاً: أنه معين نضّاخ لكل داعية إلى الله تعالى يمكن أن يستقي منه ما يريد، لاسيما الإفادة من تنوع وتعدد الوسائل والأساليب التي ظهرت في دعوة موسى ﷺ، وما تحلى به من أخلاق وصفات، هي الزاد الأول للدعاة إلى الله في كل زمان ومكان.

منهج البحث: سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي: وهو القائم على جمع المعلومات حول قضية معينة لتفسيرها وتحليلها والوقوف على جوانبها المختلفة من أجل الحصول على نتائج علمية ثم تفسيرها بطريقة موضوعية بما يتسم مع المعطيات الفعلية للظاهرة [1].

الدراسات السابقة: عدة دراسات تناولت موضوع دعوة موسى ﷺ؛ ذلكم لأن تاريخ الدعوة خصوصاً ما يتعلق بدعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، هو نبراس للدعاة، وطريق يتبعون فيه نهج رسل الله، غير أني لم أقف على دراسة علمية بهذا العنوان.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع ومنهج البحث.

التمهيد: وفيه: القصة القرآنية، وأهميتها في الدعوة إلى الله.

المبحث الأول: التعريف بنبي الله موسى ﷺ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حالة بني إسرائيل قبل ولادة نبي الله موسى.

المطلب الثاني: الحُقبة من ولادة موسى ﷺ وحتى تكليفه بالرسالة.

المطلب الثالث: موسى ﷺ في ظل الرسالة.

المبحث الثاني: القضايا العقدية من خلال قصة موسى ﷺ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قضية وجود الله وإنكار فرعون له وموقف موسى ﷺ.

المطلب الثاني: توحيد الألوهية في قصة موسى ﷺ.

المطلب الثالث: قضية توحيد الأسماء والصفات من خلال قصة موسى ﷺ.

المبحث الثالث: أخلاق الداعية من خلال قصة موسى ﷺ مع فرعون، وفيه مطالب:

المطلب الأول: الثقة واليقين بالله تعالى.

المطلب الثاني: ذكر الله تعالى.

المطلب الثالث: القول اللين.

المطلب الرابع: قوة الشخصية.

(١) البحث العلمي أساسياته وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدي، دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٠م، (ص١٨٣).

المطلب الخامس: الاستقامة.

المبحث الرابع: أساليب ووسائل الداعية من خلال قصة موسى ﷺ مع فرعون، وفية مطالب:

المطلب الأول: التعلق بالله تعالى وأثره في نجاح الدعوة.

المطلب الثاني: الحرص على هداية المدعوين، والتودد إليهم.

المطلب الثالث: الإيجاز في عرض الدعوة على المدعوين.

المطلب الرابع: الموعظة الحسنة من خلال قصة موسى ﷺ.

المطلب الخامس: المجادلة بالتي هي أحسن، من خلال قصة موسىﷺ.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد

أولاً: تعريف القصة القرآنية:

القصص في اللغة يفيد معنى: تتبع الأثر شيئاً بعد شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾[1]، والقصة الخبر، والقَصص: الخبر المقصوص، والقص: فعل القاص إذا قصص والقصة معروفة، والقاص: الذي يأتي بالقصة على وجهها، بتتبع معانيها وألفاظها [2].

والأسلوب القصصي هو: "القدرة على مخاطبة الناس وتذكيرهم، بالاعتماد على الأحداث والسير الماضية" [3].

وقد استعمل القرآن الكريم أسلوب القصص لأخذ العبرة والاعتبار، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[4].

القصة القرآنية هي: "خبر أخبر الله تعالى رسوله محمد ﷺ بما يتعلق بحوادث الماضي والموجود بين دفتي المصحف؛ بقصد العبرة والعظة والهداية، سواء بين الرسل وأقوامهم أو الأمم السابقة أفرادًا وجماعات"[5].

فمفهوم القصة في القرآن الكريم قد تتفاوت فيه وجهات النظر؛ وذلك نظرًا لما في القصة القرآنية من خصائص تميزها عن غيرها؛ من صدقٍ في الواقعية التاريخية، وجاذبيةٍ في العرض والبيان، وشموليةٍ في الموضوع، وعلوٍ في الهدف، وتنوعٍ في المقصد والغرض، ووضوحٍ في الإعجاز.

---

(١) سورة القصص، الآية: ١١.

(٢) ينظر: لسان العرب، (٧/٧٤)، مادة: (قصص)، والصحاح للجوهري، مادة: (قصص)، (٣/١٠٥١).

(٣) وسائل الدعوة، د. عبد الرحيم المغذوي، (ص١١٥). دار إشبيليا، الرياض، الطبعة ١، ١٤٢٠هـ.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٥) العبرة من قصة موسى في القرآن الكريم، محمد خير عدوي، رسالة ماجستير جامعة الملك عبد العزيز، ص١٤٠٠، ١٠هـ/١٩٨٠م

ثانياً: الغرض من القصة القرآنية:

جاءت القصة القرآنية في القرآن الكريم لغايات سامية ولفوائد جليلة منها:

أولاً: إثبات نبوة النبي محمد ﷺ؛ وذلك بإخباره أحداث الأمم الماضية التي لا علم لقومه بها، ولا مناص لمعرفتها إلا بالوحي المباشر من الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ ٩ ﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

ثانياً: الاعتبار والعظة من أخبار الأمم السابقة.

ثالثاً: تسلية قلب النبي ﷺ وتثبيت قلبه، أمام ما يلاقيه من تكذيب قومه، قال تعالى: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿ ١٢ ﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

رابعاً: أيضًا من فوائد القصة القرآنية في القرآن الكريم: بيان مناهج الرسل عليهم السلام في دعوتهم لأقوامهم، ولا شك أن هذا له بالغ الأثر على الدعاة إلى الله تعالى، "حيث بينت القصص القرآنية في القرآن الكريم تاريخ دعوتهم بكل ما يشتمله من:

أ: "أصل دعوتهم واتفاقهم جميعًا في الدعوة إلى الحق سبحانه وتعالى.

ب: العقبات والمواقف التي اعترضت هذه الدعوة.

ج: الوسائل والأساليب التي اتخذها هؤلاء الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله تعالى" (٣).

إلى غير ذلك من الفوائد التي لا تعد ولا تُحصى، التي تضمنتها القصص القرآنية، والتي من شأنها أن تكون أكبر معين للداعية في دعوته إلى المدعوين.

ثالثاً: أهمية القصة القرآنية في الدعوة إلى الله:

القرآن الكريم من أعظم وأصدق مصادر القصص التي يستفيد منها الداعية، فيجد فيه قصص الأنبياء والمرسلين، والمؤمنين الصادقين، والمعاندين والمكذبين، وما جرى لهم مع الرسل والأنبياء، وكيف أن العاقبة الحسنة لأولياء الله، وفي السنة المطهرة كذلك يقف الداعية

(١) سورة هود، الآية: ٤٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

(٣) الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، محمود السيد حسن مصطفى، (ص ١٤٤)، مكتبة شباب الجامعة، بتصرف يسير.

على مجموعة من القصص النبوي الكريم، سواء أكان من النوع الذي كان النبي عليه الصلاة والسلام يقصه على أصحابه من أخبار وقصص الأمم السابقة، أم ما كان يجري في عهده من أحداث ومواقف.

"فلا شك أن القصص من أساليب الدعوة التي تؤثر في نفوس المدعوين؛ لأنه يشد الأذهان ويقرب الفهم للسامعين، ولهذا التأثير العظيم ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم قصصاً كثيرة، وذكر النبي ﷺ قصصاً في سنته، وبين الله تعالى أن في القصص عبراً وعظات، قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١)، فينبغي للداعية أن يعتني بالقصص من الكتاب العزيز، والسنة الصحيحة، ويبينه للناس حتى يحصل التأثير والقبول بإذن الله عز وجل" (٢).

إلا أنه لا ينبغي للداعية الاستمرار في استخدام هذا الأسلوب والتركيز عليه دون سواه؛ كيلا ينشغل المستمعون بالقصة وينسون المقصد منها، بل الواجب تأصيل ذلك، وعدم الخروج عن مقصد القصة الشرعي، بل ذكرها للعبرة، وشد ذهن السامع إلى معايشة المعنى، وفي ذلك يقوم الإمام ابن الجوزي$: "وإنما ذُمَّ القُصَّاص؛ لأن الغالب منهم الاتساع بذكر القَصص دون ذكر العلم المفيد، ثم غالبهم يخلط فيما يورده، وربما اعتمد عَلَى مَا أكثره محال، فأما إذا كان القصص صدقا ويوجب وعظاً؛ فهو ممدوح" (٣).

المبحث الأول
التعريف بنبي الله موسى غ

تمهيد:

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٢) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد القحطاني، (١/٢٠٦). سالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة١، ١٤٢١هـ

(٣) تلبيس إبليس، عبد الرحمن الجوزي، (ص١١١)، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة: ط١، ١٤٢١هـ.

وردت قصة موسى عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم في أربع وثلاثين سورة [1]، وتنقسم قصة موسى ﷺ إلى عدة حلقات:

حلقة مولده في فترة اضطهاد بني إسرائيل، وحلقة ذهابه إلى مدين، وحلقة عودته إلى مصر، وما كان في طريق العودة من النداء والتكليف بالرسالة، وحلقة مواجهته لفرعون، التي انتهت بنجاته مع بني إسرائيل، وغرق فرعون، وحلقة موقفه مع بني إسرائيل بعد النجاة.

فلقد أرسل الله تعالى موسى ﷺ إلى فرعون ملك مصر ووجهاء قومه برسالة منه، وأيده بما يدل على أنه مرسل منه سبحانه وتعالى، فعارضوه وكذبوه وكانت نهايتهم الغرق.

ورسالة موسى ﷺ في المجمل العام، كانت تستهدف الحياة الإنسانية في ذاتها، وتحرير المستذل، والعودة به إلى حريته، ليعيش الناس كرماء، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، كما كانت دعوته ﷺ تهدف إلى هدم الشرك وعبادة غير الله تعالى، فقصته ﷺ مليئة بالدروس والعبر، والتي سيتضح أهمها بإذن الله تعالى في ثنايا هذا المبحث.

المطلب الأول

حالة بني إسرائيل قبل ولادة نبي الله موسى ﷺ

ولد نبي الله موسى في بيئة مليئة بالمخاطر؛ حيث عاش بنو إسرائيل زمنًا من الاضطهاد، وكان هذا قبل ولادته وأثنائها وحتى بعد ولادته، وقد جاءت الآيات الكثيرة في القرآن الكريم مبينة وموضحة حجم هذا الاضطهاد، حيث يقول تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ١٠ ﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، (ص٦٨١)، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ.

فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ ١١ ﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿ ١٢ ﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ □ (١).

يقول ابن كثير$: "وذلك أن فرعون لعنه الله رأى رأيا في منامه؛ أن نارًا خرجت من بيت المقدس فدخلت بيوت القبط بمصر، إلا بيوت بني إسرائيل، فقال أحد سحرته: أن بني إسرائيل يتوقعون خروج واحد منهم، يكون لهم به دولة، وسيزول ملك فرعون، حينئذ أمر فرعون بقتل كل ذكر يولد من بني إسرائيل" (٢).

ويصور لنا ابن كثير $ الحالة التي كان عليها بنو إسرائيل قبيل مولده فيقول: "ولد موسى في السنة التي يقتلون فيها الولدان، وكان لفرعون أناس موكولون بذلك، وقوابل يدورون على النساء، فمن رأينها قد حملت تابعنها، فإن ولدت جارية تركنها وذهبن، وإن ولدت غلامًا دخل أولئك الذباحون بأيديهم الشفار المرهفة، فقتلوه ومضوا، قبحهم الله، فلما حملت أم موسى به غ، لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها، ولم تفطن لها الدايات، ولكن لما وضعته ذكرا ضاقت به ذرعاً، وخافت عليه خوفاً شديداً، وأحبته حباً زائداً، وكان موسى غ لا يراه أحد إلا أحبه" (٣).

وفي هذا الجو الخطر، وبعد ولادة موسى غ أصبحت أمه في همٍ وتخوف لما سيحدث لابنها الرضيع، وهنا يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ ٩ ﴾ (٤).

ومن رحمة الله بأم موسى، أنه سبحانه وتعالى ربط على قلبها، وهيأ لابنها سبل الوقاية من فرعون وجنوده، فبعد أن كانت تخشى عليه من فرعون وملأه، أصبحت ترضعه في

(١) سورة القصص، الآيات: ١-٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، (٢٥٨/١)، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط٣، ١٤٢٠هـ.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٢٢/٦).

(٤) سورة القصص، الآية: ٩.

قصر فرعون وبأمره، يقول تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

كما قص الله تبارك وتعالى عنايته بنبي الله موسى عليه السلام فترة رضاعته، حيت أوحى تبارك وتعالى إلى أمه بطريق الإلهام (٢) أن ترضعه ما أمكنها ذلك حسب قدرتها، فإذا خافت عليه من فرعون الذي كان يقتل أبناء بني إسرائيل خوفاً من ذهاب ملكه؛ فلتأخذه وتلقيه في البحر، ولا تخاف عليه من أي ضرر يحلقه، ولا تحزن لفراقه، قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣)، وهكذا وبحكمة الله وإرادته وتسييره؛ فعندما شعرت أمه بالخوف عليه صنعت له تابوتاً من خشب ووضعته فيه وألقته في البحر، وقد شاء الله أن يقف التابوت عند بيت فرعون، فأخذته زوجة فرعون وسرت به وأحبته، ولما علم فرعون بأمره أراد أن يذبحه، كحال أولاد بني إسرائيل، إلا أن زوجته أقنعته بأن يتركه، وكان الأمر كذلك، قال الله تعالى:{ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٤).

وعندما سمعت أمه بوقوعه في يد فرعون خافت عليه من الهلاك، لولا أن الله تعالى ثبت قلبها وعصمها من أن تبدي أمرها وأمر ولدها؛ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ (٥).

وبأمر أمها، اتبعت أخت موسى أثره وتفقدت أمره، وعلمت أنه لا يقبل ثدي جميع النساء اللاتي توافدن على قصر فرعون لإرضاعه، فتدخلت وأشارت لهم بأهل بيت شرفاء

(١) سورة القصص، الآية: ١٣.

(٢) وقيل: بأن الوحي إليها كان بإرسال ملَك، وقيل: كان المرسَل إليها جبريل عليه السلام، وقال ابن عباس وقتادة: أنه كان إلهاماً، وحُكي أنها رأيت في ذلك رأيا. (ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام الألوسي، (٥٦/٤).

(٣) سورة القصص، الآية: ٧.

(٤) سورة القصص، الآية: ٨-٩.

(٥) سورة القصص، الآية: ١٠.

يقومون بكفالته ورعايته بنصح وإخلاص، فسروا بذلك وردوه إلى أمه، فأعطته ثديها فالتقمه، قال تعالى: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿ ١٢ ﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ١٣ ﴾ ﴾ [(١)]، فعاش موسى عليه السلام في كنف أمه وعلى نفقة زوج فرعون عدوه، ثم رباه فرعون وليداً حتى بلغ أشده، وآتاه الله حكماً وعلماً.

إن في أحداث قصة ولادة موسى عليه السلام، دروساً منيرة للدعاة إلى الله، وإلى العلماء والمربين والمصلحين؛ ذلكم أن لطف الله تعالى بأوليائه وعنايته بهم، لا يتصوره العقول، وأن عاقبة الصبر دوماً تكون حميدة، وآثارها طيبة، فتأمل في لطف الله تعالى بأم موسى، وقد سلَّمت رضيعها لعدو، ثم تلك البشارة برده إليها، قبل أن يقتلها الحزن، وقد أتاها ترضعه جهراً، وتأخذ على ذلك أجراً.

ثم إن الأخذ بالأسباب المشروعة المتاحة بعد الإيمان بالقضاء والقدر، أمر مطلوب شرعاً؛ فإن الله تعالى لما وعد أم موسى ﷺ أن يرد ولدها إليها، بادرت بأخذ الأسباب، فأرسلت أخته لتقص خبره، وكان بعد ذلك أن أشارت عليهم بأمه ترضعه، وهم لا يشعرون.

والله تعالى إذا أراد أمراً هيأ له أسبابه، ويسر له وسائله، وأن رعايته تعالى إذا أحاطت بعبد من عباده صانته من الأعداء ومن مكرهم، فتأمل في رعاية الله لموسى ﷺ، وهو يعيش بين قوى الشر، آمناً مطمئناً، فسنن الله الكونية نافذة، وعلى أهل الإيمان ألا يتأخروا في الأخذ بالأسباب المتاحة.

المطلب الثاني

الحُقبة من ولادة موسى ﷺ وحتى تكليفه بالرسالة

هارون وموسى هما ابنا قاهِثَ بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ [(٢)]، ولد موسى ﷺ في مصر أيام فرعونها رمسيس الثاني، والذي حكم مصر من ١٢٧٩ – ١٢١٣ ق.م.

(١) سورة القصص، الآية: ١٢-١٣.

(٢) قصص الأنبياء، ابن كثير، (٢/٢٢٥)، دار المستقبل، ط١، عام ٢٠٠٥م

وقد عاش فرعون (رمسيس الثاني) حوالي مائة سنة، وحكم مصر وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وقد تربى موسى عليه السلام في قصر فرعون، بعد عناية الله له ولطفه به وتثبيته لقلب أمه، وترقيق قلب زوجه فرعون.

ويمكن إجمال قصة ما بعد ولادة موسى ﷺ، وكذلك مرحلة إعداد الله له وتهيئته لتكليفه بالرسالة فيما يلي:

أمر فرعون بذبح الذكور من بني إسرائيل، فأوحى الله تعالى إلى أم موسى بإلهام منه أن ترضعه، فإذا خافت عليه أن تلقيه في اليم، وبالفعل وضعت أم موسى رضيعها في تابوت خشبي وألقته في اليم، فالتقط جنود فرعون التابوت ووجدوا فيه طفلًا، فرَقَّ قلب زوج فرعون لهذا الطفل، وطلبت من فرعون عدم ذبحه، فشبَّ موسى عليه السلام في قصر فرعون، ولما بلغ أشده آتاه الله تعالى حكمًا وعلمًا.

دخل موسى ﷺ ذات يوم المدينة فوجد رجلين يقتتلان، أحدهما إسرائيلي والآخر قِبطي، فاستغاثه الإسرائيلي، فضرب موسى ﷺ القبطي فقتله.

واعترف موسى ﷺ بأن ما حدث كان من عمل الشيطان، وطلب من الله تعالى المغفرة، يقول تعالى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿ ١٥ ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿ ١٦ ﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿ ١٧ ﴾ ﴾ [1].

فلما علم فرعون بمقتل القبطي، أرسل من يطلب موسى، فعلم رجلًا بهذا الأمر، فجاء إلى موسى ﷺ ليُعلمه أن الملأ يأتمرون به ليقتلوه، فخرج موسى ﷺ من مصر وذهب إلى أرض مدين في شمال خليج العقبة وجنوب فلسطين [2].

يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ □ [1].

(١) سورة القصص، الآية: ١٥-١٧.

(٢) قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، (ص١٦٥)، ط٢.

ولما دخل موسى ﷺ مدين وجد بها بئرًا يستقي منه الرعاة، ووجد امرأتين تذودان عنهما عن الماء حتى ينصرف الرعاة، فسقى لهما، ثم جلس يستظل بشجرة، فجاءته إحداهما تطلب منه مقابلة أبيها شعيبًا ليعطيه أجر سقيا الغنم(٢) فلما جاء لشعيب طلب منه أن يتزوج إحدى ابنتيه على أن يرعى الغنم له ثماني سنوات أو عشرًا، فوافق موسى ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿ ٢٢ ﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿ ٢٣ ﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿ ٢٤ ﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿ ٢٥ ﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿ ٢٦ ﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ ٢٧ ﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿ ٢٨ ﴾ ﴾ □(٣).

وبعد نهاية المدة، سافر موسى وزوجه إلى مصر، وهو في الطريق نزل عليه الوحي قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿ ٢٩ ﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٣٠ ﴾ ﴾ □(٤).

ولما انفصل موسى ﷺ عن أهله باحثًا عن هذه النار؛ وقد أبصر عن بعد نارًا تتأجج في جانب الطور، وهو الجبل الغربي منه عن يمينه، فطمأن أهله، وقال: امكثوا إني آنست نارًا وبالتالي يتحمل هو وحده الوصول إليها والقبس منها.

(١) سورة القصص، الآية: ١٤

(٢) المشهور عند كثير من العلماء أن والد الفتاتين هو شعيب النبي، ومن القائلين بذلك الحسن البصري، والإمام مالك، وقيل: عمه، وقيل ابن أخي شعيب، وقيل رجل من مؤمن قوم شعيب، انظر: قصص الأنبياء، لابن كثير، (ص٢٥٧).

(٣) سورة القصص، الآية: ٢٣-٢٨

(٤) سورة القصص، الآيات ٢٩.٣٠

قال ابن كثير: "كأنه والله أعلم رآها دونهم؛ لأن هذه النار هي نور في الحقيقة، ولا يصلح رؤيتها لكل أحد، وقوله: (لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى) وقد أتاهم منها بخبر وأي خبر، ووجد عندها هدى وأي هدى، واقتبس منها نوراً وأي نور؟ " (١).

فهذا هو الموقف التأسيسي لدعوة موسى عليه السلام، والذي أُعلنت فيه نبوته، وتم بموجبها إرساله إلى فرعون وقومه، فقد بدأت الدعوة بتكليم الله لموسى، وهي من خصائصه عليه السلام، قال تعالى: ﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (٢)، وهو المحل الذي كلمه الله فيه، وامتن عليه بالرسالة، واختصه بالوحي والاجتباء (٣).

وتكليم الله لموسى ﷺ بتشريفه بالدعوة، خطاب مضمونه: أنْ عرَّفه تعالى بأنه ربه، وعرَّفه بأسمائه وصفاته، وأنه رب العالمين، فقال سبحانه: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٥)، وقال عز وجل: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦).

كما عرفه بأنه الإله الواحد الذي لا إله غيره؛ ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (٧).

وفي الآيات إشارة إلى أهمية توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وأن على الداعية إلى الله قبل أن يتصدر للدعوة إلى الله أن يتعرف على التوحيد أولاً، علماً وعلماً، العلم الذي يصحبه معرفة بمعاني أنواع التوحيد؛ ليفقه ما يدعو إليه، فيولي هذا الأمر الأهمية الكبرى، ولا يقدم أمراً عليه، وهو هدي النبي ﷺ في دعوته، تطبيقاً علمياً كحاله في

(١) قصص الأنبياء، ابن كثير، (٢/٢٤).
(٢) سورة النازعات، الآية: ١٦.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، (ص٩٠٩)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
(٤) سورة طه، الآية: ١٢.
(٥) سورة النمل، الآية: ٩.
(٦) سورة القصص، الآية: ٣٠.
(٧) سورة طه، الآية: ١٤.

مكة قبل الهجرة، وقولاً كما في حديث معاذ بن جبل ﷺ المشهور، حين بعثه ﷺ إلى اليمن، وكان هذا الأمر الهام من أولويات الدعاة إلى الله فيم بعد.

فإذا كان الله تعالى قد اختار موسى ﷺ ليقوم بواجب الدعوة إلى الله، فما واجبه تجاه ربه؟

أ- واجبه عبادة الله تعالى والدوام على ذكره سبحانه: قال تعالى: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [1].

ب- بيان الحكمة من القيام بعبادة الله تعالى، وهي وجود البحث والجزاء يوم القيامة: قال سبحانه: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ ﴾ [2].

ت- التحذير من كل ما يصرف عن الدار الآخرة: قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى(١٦) ﴾ [3].

وفي كل هذا توجيه لكل داعية إلى الله، بأن يتعرّف على أنواع العبادات التي أمر الله بها، والتي يحبها ويرضاها، من فرائض وسنن، فيعبد الله بها، ويستعين بها على نجاح دعوته، ويسأل الله فيها قبول عمله، وأن يكون في ذلك كله تسلية بفناء الحياة الدنيا، ودوام الآخرة.

ومن هنا تبدأ رحلة جديدة في حياة موسى ﷺ؛ حيث أخبره الله تعالى بما أخبر، وهو في الوادي المقدس طوى، ومنذ ذلك اللحظة وقد سار موسى عليه السلام محملًا بأعباء النبوة.

(١) سورة طه، الآية: ١٤.
(٢) سورة طه، الآية: ١٤-١٥.
(٣) سورة طه، الآية: ١٥-١٦.

المطلب الثالث

موسى ﷺ في ظل الرسالة

لما علم موسى ﷺ أن الله تعالى اصطفاه، وجعله نبيًا، رجع إلى أهله وأخبرهم بما حدث، وكانت زيارته إلى مصر بوحي من الله تعالى له، وكان الهدف من الزيارة هو إخراج بني إسرائيل من عبادة فرعون إلى عبادة الله تعالى، وبناءً على ذلك، فإن إرسال موسى ﷺ إلى فرعون كان إرسال تكليف وتبليغ؛ وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ [(١)].

موسى في أرض مصر:

لما أخبر الله موسى بتكليفه نبيًا، وإخباره بالذهاب إلى فرعون لدعوته إلى عبادة الله عز وجل، وكذلك إخراج قومه من ظلم فرعون وبطشه، قابل موسى ﷺ أخاه هارون، طالباً منه الإعانة على ما كُلف به، وقد سأل الله تعالى أن يجعل هارون وزيرًا له ومعينًا له، قال تعالى على لسان موسى: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤ ﴾ [(٢)].

ولعل احتياج موسى لهارون وزيرًا له ومعينًا له على أداء رسالته، كان لوجوه عدة منها:

"أحدها: أن يشد عضده.

ثانيها: الاستفادة من فصاحة لسان هارون عليه السلام؛ حيث إن موسى كان بلسانه لثغة [(٣)].

(١) سورة طه، الآية: ٤٧

(٢) سورة القصص، الآية: ٣٤.

(٣) اللثغة: عبارة عن حركة في اللسان لا يمكن لصاحبها من النطق بحرف الثاء سليمًا، فيكون صاحب لثغة وهذا ألثغ. يراجع في ذلك: اللغة وتطورها، الشيخ عبد العاطي خلاف، (ص ٨٧)، ط ٣. ١٩٢٤م.

ثالثها: أن يكون خليفة له في قومه.

رابعها: أن يتحمل معه مسئولية تبليغ الرسالة"، ويدل على ذلك كله قوله تعالى: ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿ ٢٩ ﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿ ٣٠ ﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿ ٣١ ﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿ ٣٢ ﴾ ﴾[١].

وإن سبب طلب موسى للمعين ليس تقاعساً ولا تكاسلاً منه عن الدعوة، وإنما هو لتحقيق مصلحة محضة للدعوة، لما يراه من أهمية المآزرة في الدعوة، ولما يراه في نفسه من نقائص يريد أن يكملها بأخيه؛ خدمة للدعوة وللرسالة.

وقد أجاب الله تعالى ما طلب موسى وأمَّنه مما يخاف، فأجابه إلى طلب المعين، فقال سبحانه: □ [٢].

واستجاب له لمَا سأله، فقال تعالى: □ ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ □ [٣].

ثم زاد من فضله عليه، فبدّل مخاوفه أمناً، وبث الطمأنينة في قلبه، والبشارة بعصمته وأخيه من فرعون وملئه، فقال عز وجل: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ □[٤]، قال الطبري: "فلا يصل إليكما فرعون وقومه بسوء" [٥].

وهكذا بث الله تعالى الطمأنينة في قلب موسى وبدّل مخاوفه أمناً، وشرح صدره، ووعده بالنصر، مما يستفاد منه عناية الله تعالى لرسله وحفظه وتأييده ونصرته لهم، وكل من سار على طريقهم من الدعاة وأخلص إلى الله؛ فله حظ من الله بذلك النصر والحفظ والتأييد.

موسى وهارون في مواجهة فرعون:

أشارت الآيات القرآنية شعور موسى بالخوف عندما كلفه الله بالذهاب للقاء فرعون، ولعل أسباب ذلك فيما يلي:

(١) سورة طه، الآيات: ٢٩-٣٢

(٢)سورة القصص، الآية: ٣٥.

(٣) سورة طه، الآية: ٣٦.

(٤) سورة القصص، الآية: ٣٥.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، (٥٧٩/١٩)، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

أولاً: التخوف من الثأر؛ الذي في رقبة موسى ﷺ حيث قتل الرجل القبطي، فمن الممكن أن يوقع فرعون الثأر على موسى، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [1]، وفي هذا تصريح منه عليه السلام بأن هذا الخوف بسبب ذنبه معهم، لا بسبب دعوته، فجعل سبب رغبتهم في قتله؛ ذنب له معهم، وهذا من الصدق في الدعوة في الله، وعدم ربط العداوة الشخصية بأمور الدين، وهو موقف يستفاد منه: أن على الداعية ألا يخلط بين الأمور والعداوات الشخصية وبين مشكلات الدعوة.

ثانياً: الخوف من تكذيب الدعوة: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [2]، أي أنه لا يتحمل تكذيبهم فيضيق ولا ينطق لسانه، وبالتالي لا يحسن الجواب والرد، لذلك طلب مساندة أخيه الذي هو أفصح منه.

ويستفاد من هذا التصريح من موسى عليه السلام وطلبه من ربه تعالى أن يكون أخوه هارون رفيقه في دعوته: سعي الداعية إلى معرفة نقائصه ومحاولة إصلاحها؛ خدمة للدعوة، وتحقيقاً لأهدافها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن تخوف موسى ليس على حياته؛ لأنه نبي، وإنما كان متخوفًا أن القتل إذا وقع عليه ربما أدى ذلك للإعاقة عن القيام بمهام الرسالة.

وكان خطاب الله تعالى لموسى ﷺ وأخيه هارون عند إرسالهما إلى فرعون وقومه، خطاب تشجيع وتنشيط وتحفيز لهما للسعي في تبليغ الرسالة، فقال تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [3]، قال الطبري: "يقول: ولا تضعفا في أن تذكراني فيما أمرتكما ونهيتكما، فإن ذكركما إياي يقوي عزائمكما، ويثبت أقدامكما؛ لأنكما إذا ذكرتماني، ذكرتما منِّي عليكماً نِعَما جمَّة، ومننا لا تحصى كثرة"[4].

(١) سورة القصص، الآية: ٣٣.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٢.
(٣) سورة طه، الآية: ٤٢.
(٤) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، (٣١٢/١٨)، مرجع سابق.

ثم علمهما ما يقولان لفرعون وقومه، فقال تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ ﴾[1]، وفي هذا ضرورة تكوين الداعية بتعليمه ما يقول أو تعليمه مضمون الخطاب الدعوي، قبل البدء بدعوته.

وبما أن الأسلوب الدعوي مهم، ويختلف باختلاف المدعوين، فقد علّم الله تعالى موسى وهارون أسلوب خطاب المدعوين ونوعه في تبليغ القول، فقال تعالى: ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ ﴾[2]، "وهذه الآية فيها عبرة عظيمة: وهو أن فرعون كان في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، فتكون دعوته بكلام رقيق لين قريب سهل؛ ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ وأنجع" [3].

وأعلمها تعالى بما يستعينان به عند لقاء فرعون ومواجهة المدعوين، فقال تعالى: ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾[4]، قال ابن كثير: "والمراد: أنهما لا يفتران في ذكر الله، بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون، ليكون ذكر الله عونا لهما عليه، وقوة لهما وسلطاناً كاسراً له" [5].

وهكذا انطلق موسى وهارون عليهما السلام في مهمة الدعوة وتبليغ الرسالة، بعد أن هيأهما ربهما، وطمأنهما ووعدهما بالنصر والغلبة، وأيدهما بمعجزات تدل على صدق دعوتهما، قال تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾[6]، وهي علامات ومعجزات دالة على صدق الداعية ودعوته.

(١) سورة طه، الآية: ٤٧-٤٨.
(٢) سورة طه، الآية: ٤٣-٤٤.
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٩٤/٥)، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ.
(٤) سورة طه، الآية: ٤٢.
(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٩٤/٥)، مرجع سابق.
(٦) سورة النمل، الآية: ١٢.

تهيأ موسى وهارون لمواجهة فرعون، وقد تخلقا بالهدوء واللين في القول، ودعاه إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، فكذبوهم واتهموهم بالسحر، ثم جمع فرعون السحرة لموسى، وانتهى الأمر بإيمان السحرة بموسى وهارون عليهما السلام، ولم يخافوا من بطش فرعون، بل ضربوا أروع الأمثلة في التضحية بالغالي والنفيس من أجل عقيدتهم بالله تعالى.

كان موقف فرعون وقومه من الدعوة ومن البراهين والمعجزات، كفرهم وتكذيبهم، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١)، أي جحدوا وكفروا بها ظلماً منهم وعناداً (٢).

وقد حفلت الآيات القرآنية ببيان الحوار الذي دار بين موسى وهارون مع فرعون، منها ما جاء في قوله تعالى: **اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي** ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿ ٤٣ ﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿ ٤٤ ﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى ﴿ ٤٥ ﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿ ٤٦ ﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿ ٤٧ ﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿ ٤٨ ﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴿ ٤٩ ﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿ ٥٠ ﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿ ٥١ ﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿ ٥٢ ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿ ٥٣ ﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿ ٥٤ ﴾ ﴾ □ (٣).

كما سجل القرآن الكريم موقف سحرة فرعون من موسى وهارون، وتضحيتهم من أجل الإيمان بالله تعالى، في عدة آيات من القرآن الكريم.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٠٣.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤٥٣/٣).
(٣) سورة طه، الآيات: ٤٢. ٥٤

وكان موقف فرعون بعد ذلك أنه آذى قوم سيدنا موسى، ونكّل بهم، حتى أذن الله سبحانه وتعالى له بالخروج، كما وعده بالنصر المبين على فرعون وملأه، حيث يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾﴾ [(١)].

وهكذا كان الغرق نهاية للكفر والاستكبار والعناد والبغي والظلم، ومخالفة أوامر كليم الله موسى عليه السلام.

ثم بعدما نجى موسى وقومه حدثت بعض المواقف مع قومه، والتي وقف نبي الله موسى موقف النبي الداعية الحريص على هداية قومه، المنقي لعقيدتهم من بقايا الشرك والوثنية التي خرجوا بها من مصر، ولعلنا نتعرض لهذه المواقف فيما يأتي:

(١) سورة طه، الآيات: ٧٧. ٧٩

المبحث الثاني

القضايا العقدية من خلال قصة موسى ﷺ

تناولت قصة موسى ﷺ أموراً كثيرة من أمور الاعتقاد المختلفة، خاصة باب التوحيد الذي هو أهم أبواب العقيدة، فقد جاءت في قصة موسى جملة من الآيات التي تعتني بباب التوحيد وتقرره، وتنهى عن الشرك بالله تعالى، وإثبات وجود إله واحد لهذا الكون، يسيره ويدبره، وهو الله سبحانه وتعالى، وإبطال زعم فرعون أنه الإله، وإبطال كذلك مزاعم قومه واعتقادهم باعتقاد فرعون، فقد اشتمل كلام موسى ﷺ مع فرعون وبني إسرائيل على عقيدة الوحدانية، وأن للعالمين رباً واحداً، مع تقرير موسى وهارون عليهما السلام لفرعون وقومه جانب البحث والجزاء، وسنركز هنا على ما يتعلق بأنواع التحديث الثلاثة مما ورد في قصة موسى عليه السلام ودعوته، من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: قضية وجود الله وإنكار فرعون له وموقف موسى ﷺ.

المطلب الثاني: توحيد الألوهية في قصة موسى ﷺ.

المطلب الثالث: قضية توحيد الأسماء والصفات من خلال قصة موسى ﷺ.

المطلب الأول

قضية وجود الله وإنكار فرعون له وموقف موسى غ

إن من أعظم أنواع الظلم: ادعاء الألوهية، فيدعوا الحاكم الناس إلى عبادته من دون الله، مستغلاً ملكه وسلطته، فيسن لهم قوانين غير التي سنها الله تعالى، ويجعلها دستوراً يعاقب من خالفه، ويرى أنها أصلح من شريعة الله، وهي نفسها مخالفة للشرع، وهكذا كان فرعون، علاَ في الأرض وتجبر وادعى الألوهية، قال الطبري$ في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١)، " إن فرعون تجبر في أرض مصر وتكبر، وعلا أهلها وقهرهم، حتى أقرّوا له بالعُبُودية" (٢).

ولقد اتخذ القرآن الكريم منهجاً في الاستدلال على وجود الله تعالى ذا اتجاهين:

أ: دليل داخلي: وهو ما يسمى بدليل الفطرة أو الأنفس.

ب: دليل خارجي: وهو ما يسمى الآفاق.

أما **الاتجاه الأول**: وهو الدليل الداخلي أو ما يسمى بدليل الفطرة أو الأنفس؛ فإنه يكون بلجوء الإنسان إلى فطرته السليمة التي هي مقرة بطبعها على وجود الله تعالى، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ (٣)، "أي: أفلم يتفكر هؤلاء المكذبون لرسل الله ولقائه {فِي أَنْفُسِهِمْ}؛ فإن في أنفسهم آيات يعرفون بها أن الذي أوجدهم من العدم سيعيدهم بعد ذلك، وأن الذي نقلهم أطواراً من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى آدمي قد نفخ فيه الروح، إلى طفل إلى شاب إلى شيخ إلى هرم، غير لائق أن يتركهم سدى مهملين لا ينهون ولا يؤمرون ولا يثابون ولا يعاقبون" (٤).

(١) سورة القصص، الآية: ٤.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، (٥١٦/١٩)، مرجع سابق.

(٣) سورة الروم، الآية: ٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، (ص٦٣٧).

فدلالة الفطرة على وجود الله أقوى من كل دليل لمن لم تجتله الشياطين، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

فالفطرة السليمة تشهد بوجود الله تعالى، ولا يمكن أن يعدل عن هذه الفطرة إلا من اجتالته الشياطين، ومن اجتالته الشياطين، فقد وُجد في حقه مانعٌ قوي يمنع هذا الدليل، فإذاً فكل حادث لابد له من محدث، والحقيقة أن دلالة الحوادث على المحدث دلالة حسية عقلية، أما كونها حسية؛ فلأنها مشاهدة بالحس، وأما كونها عقلية؛ فلأن العقل يدل على أن كل حادث لابد له من محدث، ولهذا سئل أعرابي بم عرفت ربك؟ فقال: الأثر يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج ألا تدل على السميع البصير؟ والجواب: بلى، فهذا أعرابي استدل بعقله الفطري على أن هذه الحوادث العظيمة تدل على خالق عظيم عز وجل، هو السميع البصير، فالحوادث دليل على وجود المحدث، ثم كل حادث منها يدل على صفة مناسبة غير الوجود (٢).

أما **الاتجاه الثاني**: وهو الدليل الخارجي أو ما يسمى بالآفاق أو دلالة العقل؛ حيث دعانا القرآن الكريم في كثير من آياته إلى التأمل في الكون من حولنا والاستدلال بها على وجود الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٣).

وعند التأمل في آيات القرآن الكريم، نجد أنه لم يوجد أحد أنكر وجود الله إلا فرعون، حيث قال: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٤).

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) انظر: شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح العثيمين، (ص٤٤)، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٤) سورة القصص، الآية: ٣٨.

فلما أنكر وجود الإله، أثبت الألوهية لنفسه، فقال فرعون: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (١).

ولكن السؤال هنا هل كان فرعون منكرًا للصانع في الظاهر والباطن؟

قال ابن تيمية $: "وأشد من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون، وكان مستيقنًا به في الباطن كما قال تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ (٢)(٣).

ولذلك في آية أخرى يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٤).

ولقد فسر ابن كثير بما يفيد إقرار فرعون بالصانع، ولكنه جاحد له في الظاهر فقال: "فإنه لما جاءته الآيات مبصرة، أي واضحة بينة؛ قال هذا سحر مبين، وأرادوا معارضته بسحرهم فانقلبوا صاغرين، وجحدوا بها أي في ظاهر أمرهم، واستيقنتها أنفسهم أنها حق من عند الله؛ فكفروا بها وعاندوها وكابروها استكبارًا عن الحق" (٥).

فمن خلال الآيات السابقة يتضح أن فرعون كان مقرًا بالصانع، ولكنه مغالط وكاذب، وأنه فعل ذلك خوفًا على منصبه وعلى مكانته.

وقال بن تيمية $: "فإن فرعون أنكر رب العالمين، وأن يكون لموسى إله يطلع إليه، وفرعون كان منكراً للصانع في الظاهر، وكان في الباطن مقرًا به" (٦).

قال الرازي $: "اختلف الناس في أن فرعون كان عارفًا بالله تعالى، فقيل: إنه كان عارفًا بالله، إلا أنه كان يظهر الإنكار تكبرًا وتجبرًا وزورًا وبهتانًا" (٧).

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٢.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، (٣٩/٨)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

(٤) سورة النمل، الآية: ١٤.

(٥) تفسير بن كثير (٣٥٧/٣)، مرجع سابق

(٦) مجموع الفتاوى، (١٩٢/٢،١٩١)

(٧) مفاتيح الغيب، (٦٣/١٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

موقف موسى عليه السلام من فرعون بعد إنكاره للألوهية:

من خلال ما سبق نرى كيف عرَض موسى ﷺ العقيدة الحقة على فرعون وقومه، ملتزمًا بما أمره الله تعالى به من آداب الحوار واللين في الحديث، ونرى أيضًا عرض العقيدة على فرعون بسهولة وسلاسة، فلما سأله فرعون: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ فأجابه موسى ﷺ: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [1].

فهذه الكلمات القصيرة، المركزة على أهم خواص الألوهية الحقة، أعطت كل شيء صورته، وشكله ليتطابق مع المنفعة المنوطة به، وتعريفه كيف يتوصل إليها به، أمر يبهر العقول، ويخلب اللب، فالأرض صالحة للمشي وطلب الرزق، فيها الماء واليابس، والسهل والجبل، والماء لإنبات النبات، ليأكل الحيوان والإنسان، كل ذلك بقدر يراعي مصلحة البشر وغير البشر بإحكام فيه عظات وعبر، ولا شك أن الداعية إلى الله في كل زمان ومكان، لابد له من بيان نعم الله على الناس في الكون وفي أنفسهم؛ حتى يخاطب جانب الفطرة الإنسانية في كل مدعو حتى ولو كان معاندًا.

فلابد للداعية أن يأخذ من هذا الموقف ما يرسم له أسلوب الدعوة بالحكمة، فمنذ اللحظة الأولى أعلنا أن هناك ربًا هو ربهما، ورب فرعون ورب العالمين، وحددا رسالتهما، وهي أن يرسل معهما بني إسرائيل ولا يعذبهم، ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ [2].

وبرغم الآيات التي بينها موسى ﷺ، أصر فرعون على العناد والكفر، ولكن لا شك أن موسى وهارون عليهما السلام أقاما الدليل الواضح على وجود الله تعالى وبالحجج القاطعة، ولكن فرعون أصر على إنكاره وعناده، والذي كان نتيجته الهلاك والغضب من الله عليه في الدنيا والآخرة.

(١) سورة طه، الآية: ٤٩-٥٠.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٧.

المطلب الثاني

توحيد الألوهية في قصة موسى غ

يقُصد بتوحيد الألوهية: إفراد الله تعالى بالعبادة، بكل ما شرع أن يُعبد به من أعمال القلوب والجوارح، وألا يشرك معه غيره في شيء فيها، وكذلك تعلق القلب بالرب خوفًا ورجاءً، ورهبة ورغبة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

فتوحيد الألوهية هو إفراد الخالق سبحانه وتعالى بالعبادة، وإخلاص الدين وحده لله تعالى (٢).

فهذا النوع من التوحيد هو مناط الإيمان بالله تعالى وإخلاص العبادة له وحده، فكان لابد للقرآن أن يهتم بهذا الجانب اهتمامًا بالغاً؛ حيث إن الشرك الذي وقع فيه جميع الأمم كان من هذا النوع، فالمتتبع لسور القرآن الكريم يجد الدلالة على هذا التوحيد، ولقد عالج القرآن الكريم انحراف الناس عن توحيد الله بأنواع من الأساليب الواضحة.

توحيد الألوهية في قصة موسى غ:

لقد دعا موسى غ فرعون إلى الاعتراف بالخالق سبحانه وتعالى، وأنه رب الأولين والآخرين، يظهر هذا من خلال حوار موسى غ مع فرعون، فعندما سأل فرعون عن عبادة أهل القرون الأولى غير الله عزوجل، أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يجيبه، فقال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ □﴾ (٣).

" وكأنه يقول: ما بالها لم تُقر بما تدعوا إليه من التوحيد والعبادة بل عبدت الأوثان ونحوها"(٤).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٢) دعوة التوحيد، د. محمد خليل الهراس، (ص٣٨)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٣) سورة طه، الآيات:٥١ ـ٥٣.

(٤) العبرة في قصة موسى عليه السلام، محمد خيري عدوي، (ص ٣١٣)، رسالة ماجستير جامعة الإمام عبد العزيز، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

فذكّر موسى عليه السلام فرعون وذكّر الملأ حوله، إلى أن حال أصحاب هذه القرون علمها عند الله تعالى، ولم يغفل أن يذكرهم في هذا المقام أيضًا بأدلة إثبات ألوهية وربوبية الله تعالى.

موقف موسى عْ من قومه بعد نجاتهم من فرعون وطلبهم الغريب:

بعد غرق فرعون، ونجاة بني إسرائيل، بدأت مرحلة جديدة للدعوة، والتي بذل فيها موسى عليه السلام جهدًا شاقًا في إرساء أسس العقيدة في نفوس قومه، فهي معركة مع قوم حملوا من رواسب الماضي، الذي أفسد فيه الذل طبيعتهم، وملأه بالالتواء والاعوجاج.

لقد كانت معجزة نجاتهم من فرعون وانشقاق البحر لهم للعبور، لا تزال شاخصة في أذهانهم، ومع ذلك تحركت رواسب الوثنية داخل نفوسهم، عندما رأوا قومًا يعكفون على أصنام لهم، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً كما لهم آلهة، قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿ ١٣٨ ﴾ إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿ ١٣٩ ﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿ ١٤٠ ﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿ ١٤١ ﴾ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿ ١٤٢ ﴾ □ [1].

فبين لهم موسى خطأ هؤلاء القوم وأنهم على باطل، ثم يبين لهم أنه لا يريد لهم إلهًا يعبدونه غير الله تعالى، وسار يعدد لهم نعم الله عليهم أنه فضلهم على الناس جميعًا، وذكرهم بنجاتهم من فرعون الذي كان يسوموهم سوء العذاب، وهو بذلك يحاول أن يردهم إلى الجادة.

المطلب الثالث

قضية توحيد الأسماء والصفات من خلال قصة موسى عْ

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٣٨-١٤٢

توحيد الأسماء والصفات: "هو الإقرار بأن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، مشيئته نافذه، على العرش استوى وعلى الملك احتوى، وأنه الملك القدوس، السلام، سبحان الله عما يشركون، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى" (١).

وقد عرفه شيخ الإسلام بن تيمية بأنه: "أن يوصف الله عزوجل بما وصف به نفس، وبما وصفه به رسوله، ويصان ذلك عن التحريف والتمثيل والتكيف والتعطيل، فإن الله ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فمن نفى صفاته كان معطلًا، ومن مثل صفاته بصفات البشر كان ممثلًا، فالممثل يعبد صنمًا والمعطل يعبد عدمًا" (٢).

لقد تحدث القرآن عن الصفات والأفعال وأثبتها إثبات وجود وليس إثبات كيفية؛ وذلك لأن ذاته لا يشبهها أحد، قال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٣).

توحيد الأسماء والصفات من خلال قصة موسى ﷺ:

لقد حوت قصة موسى ﷺ في القرآن الكريم عددًا كبيرًا من صفات الله تعالى، ومنها:

أ: صفة المعية:

جاء لفظ المعية في كتاب الله عامًا، كما جاء خاصًا في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (٤).

فالمعية هنا من قبيل المعية الخاصة، ولا تعني اختلاط احدى الذاتين بالأخرى؛ فلفظ المعية وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقارنة، فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه.

(١) تيسير العزيز الحميد، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، (ص ٣٤،٣٥)، دار الصميعي.
(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٥١٥/٦)، مرجع سابق.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٤) سورة طه، الآية: ٤٦.

"فمعيته سبحانه وتعالى مع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان، ومع بعض خلقه بالإعانة والنصر والتأييد" (١).

ب: صفة النفس:

وجاءت هذه الصفة في قول الله تعالى لموسى عليه السلام: قال تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ (٢).

يقول بن تيمية $: "يراد بنفس الشيء عينه وذاته، كما يقال رأيت زيد عينه ونفسه" (٣)، وَنفس الله تعالى لَيْسَت كَنَفس الْعباد التِي هِيَ متحركة متصعدة مترددة فِي أبدانهم، بل هِيَ صفة لَهُ فِي ذَاته خَالف بهَا النُّفُوس المنفوسة المجعولة، وقال ابن عباس ڤ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (٤)، "تعلم ما في النفس المخلوقة ولا أعلم ما في نفسك الملكوتية" (٥).

ج: صفة العين:

قال الله تعالى لموسى عليه السلام وهو يطمئنه ويهدئ من خوفه: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ (٦)، قال بن كثير: "تربى بعين الله، وقال قتادة: تغذى على عيني" (٧).

(١) محاسن التأويل، محمد القاسمي، (٥٦٧٣/١٦) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، الحلبي للنشر، ١٣٧٦هـ.
(٢) سورة طه، الآية: ٤١.
(٣) مجموع الفتاوى، (٢٩٢/٩)، مرجع سابق.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٦.
(٥) العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أحمد بن حنبل، (ص١١٠)، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ.
(٦) سورة طه، الآية: ٣٩.
(٧) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١٤٧/٣)، مرجع سابق.

"فالعين صفة من صفاته تعالى، لا تدرك كيفيتها، فيجب إقرارها على ظاهرها بدون تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف" (١).

د: صفة القدرة:

دورت صفة القدرة من خلال قصة موسى غ في كثير من الآيات، وتمثلت في كثير من المظاهر، منها جعل العصا ثعباناً، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ (٢).

قال الرازي: "فكأنه قال له يا موسى: هل تعرف حقيقة هذا الذي خشبة لا تنفع ولا تضر، ثم يقلبها ثعبانًا، فيكون بهذه الطريقة نبه العقول لكمال قدرته، ونهاية عظمته، حيث أظهر هذه القدرة من خلال أهون الأشياء عنده" (٣).

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، تفسير صديق خان، (٣٥٠/٤)، دار الفكر العربي.
(٢) سورة طه، الآية: ١٧.
(٣) مفاتيح الغيب، (٢٤/٢٢) مرجع سابق.

المبحث الثالث

صفات وأخلاق الداعية من خلال قصة موسى ﷺ

بذل موسى ﷺ جهدًا كبيرًا مع قومه في دعوته، وقد اتصف عليه السلام بكثير من الصفات جعلته يبلغ دعوته على أكمل وجه، وأنه بدراسة هذه الصفات والأخلاق يمكن للداعية إلى الله تعالى أن تكون أعظم معين له في أداء دعوته، وفي هذا البحث ما أراه مناسباً في بابه للدعاة إلى الله بأن يتخلقوا به الصفات والأخلاق الحميدة، من خلال ما جاء في قصة موسى عليه السلام ودعوته لفرعون وقومه،

وإنه بدراسة هذه الصفات والأخلاق والتحلي بها من قبل الدعاة؛ تمكنهم من أداء واجبهم على أكمل وجه، وفغي هذا المبحث سأورد من خلال قصة موسى عليه السلام ودعوته لفرعون وقومه، بعضاً من تلك الأخلاق الحميدة والصفات النبيلة، وذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: الثقة واليقين بالله تعالى.

المطلب الثاني: ذكر الله تعالى.

المطلب الثالث: القول اللين.

المطلب الرابع: قوة الشخصية.

المطلب الخامس: الاستقامة.

المطلب الأول
الثقة واليقين بالله تعالى

إن من أعظم الصفات التي يمكن أن يخرج بها الداعية من خلال قصة موسى عليه السلام؛ (الثقة المطلقة بالله تعالى).

ولقد ظهرت ثقة موسى ﷺ بالله في العديد من المواقف، بل في أخطر المواقف مع بني إسرائيل، وذلك عند خروجهم من مصر، حينما رأوا فرعون وجنوده خلفهم وظنوا أنهم مدركون، فأدركتهم ثقة موسى ﷺ بربه، وفي ذلك قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ (١).

إن من الصفات العظيمة المهمة التي ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم وخاصة الداعية إلى الله عزّ وجلّ: الثقة بالله عزّ وجلّ، "ولهذه الثقة قال عبد الله بن الزبير ﷺ عن أبيه وهو يوصيه: «فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ، وَيَقُولُ: «يَا بُنَيِّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلاَيَ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَتِهِ مَنْ مَوْلاَكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ، إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ»(٢)، قال الحافظ ابن حجر $: "وفيه منزلة الزبير عند نفسه، وأنه في تلك الحالة كان في غاية الوثوق بالله والإقبال عليه والرضا بحكمه والاستعانة به"(٣)، وهذا دليل على ثقة الزبير العظيمة بالله عزّ وجلّ، وقد كان سبحانه عند ظنه به؛ قال ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي**»(٤)، وهذا يؤكد على الداعية أن يثق بربه عزّ وجلّ ويحسن الظن به.

فبث الثقة بالله واليقين بنصره لأوليائه بين المدعوين، والجزم بأن الخصم ليس على شيء، من أعظم اليقين بالله تعالى، ومن حسن التوكل عليه سبحانه، ومن أسباب الثبات، فعلى الدعاة إلى الله أن تكون ثقتهم بالله تعالى لا حدود لها، فهم معلقون بالله تعالى في كل أمورهم.

---

(١) سورة الشعراء الآيتان ٦١،٦٢

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب بركة الغازي في ماله حيا وميتاً، (٨٧/٤)، برقم: (٣١٢٩).

(٣) فتح الباري، لابن حجر، (٢٣٥/٦)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (ويحذركم الله نفسه)، (١٢١/٩)، برقم: (٧٤٠٥).

المطلب الثاني

ذكر الله تعالى

ذكر الله تعالى هو دأب الصالحين، والأنبياء المقربين، فالداعية إلى الله بصدق يجب أن تكون بينه وبين الله حالة من الذكر الدائم؛ حتى يطمئن قلبه بذكر الله.

والمتأمل في قصة نبي الله موسى عْ يجد أن الله تعالى في أول الأمر أمرَ نبيه موسى عْ وأخاه هارون ألا يتغافلا عن ذكره، فقال سبحانه: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ [(١)]، قال مجاهد: "لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً، حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً [(٢)].

يقول الإمام الرازي: "أي اتخذوا ذكري آله لتحصيل المقاصد، وأعتقد أن أمرًا من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكر الله تعالى، والحكمة فيه: أن من ذكر الله استحقر غيره ولا يخاف أحدًا، وأنه من ذكر جلالة الله تقوّى روحه بذلك الذكر، فلا يضعف في المقصود" [(٣)].

فالذكر هو الحياة بالنسبة لكل مسلم، وبالنسبة للدعاة إلى الله تعالى خصوصًا، فالله تعالى جعل الفارق بين الحي والميت؛ ذكر الله تعالى، فقال ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ» [(٤)].

"فشبه الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة، وغير الذاكر بالبيت الذي ظاهره عاطل وباطنه باطل، وقيل: موقع التشبيه بالحي والميت؛ لما في الحي من النفع لمن يواليه، والضر لمن يعاديه وليس ذلك في الميت" [(٥)].

فعلى الدعاة إلى الله أن يُداموا على ذكر الله؛ ففي ذكر الله سعادة القلوب، وطمأنينة النفس، والرضا بقدر الله وقدره، وهو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرح بعد الهم

(١) سورة طه، الآية: ٣٣،٣٤

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٨٣/٥).

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٧٥/٢٢) مرجع سابق.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، (٨٦/٨)، برقم: (٦٤٠٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، (٥٣٩/١)، برقم: (٧٧٩).

(٥) فتح الباري، لابن حجر، (٢١٠/١١)، مرجع سابق.

والغم، وهو الطارد من للشيطان، والمخلِّص من وساوس النفس، وخير معين للدعاة إلى الله في دعوتهم؛ ليكونوا سابقين في ميدان السير إلى الله تعالى.

المطلب الثالث

القول اللين

من المعلوم أن القول اللين والموعظة الحسنة من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، قال الله تعالى لنبيه محمداً ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [(١)].

وقد جاءت قصة موسى ﷺ موضحة هذه الأسلوب غاية الوضوح، وبينت أهميته لكل داعي إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿ ٤٣ ﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿ ٤٤ ﴾ [(٢)].

يقول ابن القيم$: "أمر الله تعالى نبيه بمخاطبة رئيس القبط بالخطاب اللين، فمخاطبة الرؤساء والوجهاء بالقول اللين أمر مطلوب شرعًا وعقلًا وعرفًا" [(٣)].

فأمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام بدعوة فرعون بكلام رقيق لين سهل؛ ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ وأنجح، ولما في ذلك من التأثير في الإجابة؛ ذلك أن الكلام الذي فيه شدة وخشونة بادئ ذي بدء من أعظم أسباب النفرة، وعدم الاستجابة، والتصلب في الكفر، لا سيما إذا كان المدعو من الكبراء الذين تغلب عليهم صفة الكبر والتجبّر، فامتثلا عليهما السلام لأوامر ربهما، فخاطبا فرعون بحديث في غاية اللطف واللين، قال تعالى: ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى ﴿ ١٨ ﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿ ١٩ ﴾ [(٤)].

يقول الإمام السعدي $: "فإن في هذا الكلام من لطف القول وسهولته وعدم بشاعته، ما لا يخفى على المتأمل، فإنه أتى بـ (هل) الدالة على العرض والمشاورة، التي لا يشمئز

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٣-٤٤.

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم، (١٣٢/٣)، دار الكتاب العرب، بيروت، لبنان.

(٤) سورة النازعات، الآية: ١٨-١٩.

منها أحد، ودعاه إلى التزكي والتطهر من الأدناس، التي أصلها التطهر من الشرك الذي يقبله كل عقل سليم، ولم يقل (أزكيك) بل قال (تزكى) أنت بنفسك، ثم دعاه إلى سبيل ربه الذي رباه وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة" (١).

إن اللين في الخطاب خلق طيب ينبغي أن يتحلى به الدعاة إلى الله، وأن يلتزموا بهذا الأسلوب في دعوتهم؛ حتى تنجذب لهم القلوب قبل الآذان، ولأهميته أمر الله تبارك وتعالى نبييه موسى وهارون عليهما السلام أن يقولا لفرعون قولاً ليناً، فإذا كان هذا في حق طاغية، فكيف بالداعية مع إخوانه المسلمين؟

المطلب الرابع
قوة الشخصية

لقد كان أول لقاء بين نبي الله موسى وفرعون دليلًا على قوة شخصية موسى ﷺ، حيث أثبت قوة الشخصية مع الاتزان في القول، وثبات في الانفعال، يظهر ذلك من خلال قول الله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿ ٥١ ﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿ ٥٢ ﴾ (٢).

وكذلك قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿ ٣٧ ﴾ □ (٣).

ففي أحلك المواقف وأشدها نجد موسى ﷺ في أعلى درجات الاتزان، وهذا يدل على قوة شخصيته وشجاعته.

فينبغي على الدعاة إلى الله تعالى أن يدربوا أنفسهم على قوة الشخصية والشجاعة، وألا يخشوا في الله لومة لائم، وأن يكون الداعية لينًا في موضع اللين، شجاعًا في موضع الشجاعة.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص٥٠٦).
(٢) سورة طه، الآية: ٥١-٥٢.
(٣) سورة القصص، الآية: ٣٧.

يقول الشيخ أبو زهرة:" أن يكون له شخصية نافذة لا تقتحمها الأعين، ولا تزدريها النفوس، وألا يكون معيبًا خلقاً أو نفسيًا، وأن يكون معروفًا بكمال الخلق وفيه كمال الصمت، يتكلم في موقع القول ويصمت في موقع الصمت ويكون صمته حكمًا" [١].

فصفات القيادة الدعوية: أن يكون الداعي قوي الشخصية، ثابت القلب، ذا حزم ورأي، وثقه بالله تعالى، وشجاعة في غير تهور، وله نظرة بعيدة، وتفكير عميق وعزيمة قوية، ونشاط دائب، وترتيب لأقواله وأفكاره، وأعماله، مستشعراً قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ □ [٢].

المطلب الخامس

الاستقامة

وقد ختمت بهذه الصفة؛ لأنها الخاتمة لجميع الأخلاق؛ فالداعية المستقيم على منهج الله تعالى، سرعان ما تصل دعوته إلى المدعوين، والاستقامة كلمة جامعة تشمل الدين كله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ □ [٣]، وقال تعالى للنبي ﷺ: □ ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ □[٤]، وعن سفيان بن عبد الله ڤ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ – وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ – قَالَ: «**قُلْ**: آمَنْتُ بِاللهِ، **فَاسْتَقِمْ**» [٥].

فالمطلوب من العبد المسلم وخاصة الدعاة إلى الله: الاستقامة، وهي السداد؛ فإن لم يقدر فالمقاربة، فإن نزل عن المقاربة فلم يبق إلا التفريط والضياع [٦].

(١) الدعوة إلى الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة، (ص١٢٩). دار الفكر العربي.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٠.
(٤) سورة هود، الآية: ١١٢.
(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، (٦٥/١)، برقم: (٣٨).
(٦) مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة – مفهوم، ونظر، وتطبيق، سعيد القحطاني، (ص٦٤)، مطبعة سفير، الرياض.

وحينما نتأمل قصة موسى وهارون عليهما السلام، نرى أن الله تعالى أمرهما بالاستقامة في دعوتهما، وأن يصبرا على الدعوة إلى سبيله، ولا شك أن في هذا درس لكل داعية إلى الله تعالى أن يستقيم على أمر الله.

"وأعظم الاستقامة: الاستقامة على العقيدة بالتوسط في مسائلها المختلفة بين الإثبات والنفي والتشبيه والتأويل، ثم الاستقامة في العبادة بين الغلو والتقصير، فإن للشيطان في العبادات إما الإفراط أو التفريط " (١).

والحق أن قصة موسى ﷺ مليئة بالصفات والأخلاق التي يمكن أن يتخلق بها الداعي إلى الله تعالى، منها الشجاعة، الفصاحة في القول، الفطنة في إيراد الحجج القاطعة على صدق دعواه....الخ.

المبحث الرابع

أساليب ووسائل الداعية من خلال قصة موسى ﷺ مع فرعون

تمهيد: التعريف بالوسيلة والأسلوب والفرق بينهما:

أولاً: تعريف الأسلوب:

الأسلوب: كلمة مأخوذة من الفعل الثلاثي سَلَبَ، وهو الاختلاس، والسَّلْبُ هو السير الخفيف، والأسلوب: هو الطريق، فكل طريق ممتد أسلوب، ويقال للسطر من النخيل أسلوب، وهو الطريق والوجه والمذهب، يقال أخذنا في أساليب من القول، أي: أفانين منه (٢).

والأسلوب بالضم هو الفن، يقال: أخذ في أساليب من القول، أي في أفانين منه (٣)، وسلك أسلوبه أي طريقته (٤).

وعرف الأسلوب اصطلاحاً بأنه: "هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه" (١).

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، (١٠٣/٢)، دار الصميعي،١٤٣٢هـ/٢٠١١م

(٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (ص٩٧)، والمصباح المنير، للفيومي، (٢٨٤/١).

(٣) لسان العرب لابن منظور، (٤٧٣/١)، ط دار صادر بيروت، الثالثة ١٤١٤هـ.

(٤) تاج العروس، محمّد بن محمّد مرتضى الزبيدي، (٣ /٧١)، مادة: سلب. تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

فالأسلوب يتعلق بالكلام وما يُعبر عنه الشخص من معاني لإيصالها للغير، ولهذا فإن الأسلوب في المجال الدعوي يعني: " الطريقة التي يسلكها الداعي في دعوته" [٢].

وتعريف الأسلوب الدعوي ينبغي أن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمجال فن التبليغ، فما معنى القول بأن أسلوب فلان الداعية أفضل من أسلوب صاحبه؟ الذي يتبادر إلى الذهن أنه يفضل صاحبه في أسلوب الخطابة أو الدرس أو الدعوة الفردية، أو الكتابة، أو المناظرة، أو أي موقف من المواقف الدعوية، بمعنى أن لكل موقف أسلوباً، ولكل مقام طريقة، فالأسلوب هو طريقةُ مباشرة الدعوة وكيفية تبليغها إلى المدعو.

ثانياً: تعريف الوسيلة:

الوسيلة في اللغة: لفظة مشتقة من فعل (وسل) ومعناه: الرغبة والطلب، من وسل فلان إلى الله تعالى، يسل، وسلًا: أي رغب وتقرب، والواسل: الراغب إلى الله عز وجل، والوسيلة: الوصلة والقربى، والوسائل: ما يُتقرب بها إلى الغير، والوسيلة تطلق ويراد بها: الوصلة والقربة والمنزلة والدرجة عند الملك [٣].

وعرف الجرجاني الوسيلة بأنها: " كل ما يتوصل به ويتقرب به إلى الغير" [٤].

والوسيلة في الاصطلاح هي: "ما يُتوصل به في تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية ومادية" [٥].

أو هي: "ما يستعمله الداعية من إمكانات يوصل بها الدعوة إلى المدعوين، وغالبًا ما تكون حسية"[٦].

فالوسيلة هي الأمور المعنوية والأدوات المادية التي يستخدمها الداعي في نقل وتوصيل الدعوة إلى المدعو؛ بغرض الوصول إلى أهداف دعوية معينة.

فالأمور المعنوية: كالخطبة وفنون القول، والأدوات المادية كوسائل الإعلام.

---

(١) خصائص القرآن الكريم، د. فهد الرومي، (ص١٨)، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، (ص ٤٧)، مؤسسة الرسالة، ط ١.

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (١١٠/٦)، والصحاح، للجوهري، (١٨٤١/٥)، مادة: وسل.

(٤) التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، (ص٣٢٦)، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.

(٥) المدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، (ص٤٩) مرجع سابق

(٦) منهج شيخ الإسلام بن تيمية في الدعوة، د. الحوشاني، (ص٤٢)، دار إشبيليا، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ط١.

وتكون خلقية أو قولية أو كتابية، أو تطبيقية، أو وسيلة إعلام حديثة أو فكرية عقلية.

ثالثاً: الفرق بين الوسيلة والأسلوب:

إن بين الوسائل والأساليب الدعوية عموم وخصوص، بحيث لو أُفرد أحدهما دخل في مسمى الآخر، وإن اجتمعا أفادا أن الوسائل في الغالب تكون حسية أكثر منها معنوية، وأن الأساليب في الغالب تكون معنوية، فاتضح من ذلك أن الوسائل تنقل الأساليب وتحملها إلى المدعوين [١].

فالوسيلة هي الأداة المستخدمة في إيصال المعاني، ونقل الأفكار من الداعي إلى المدعو، والأسلوب هو فن العرض والتأثير والإقناع.

وإن الأسلوب الواحد تنقله الوسائل العديدة، كما أن الأسلوب يوجد في عالم الواقع بعد إعداده، بينما الوسيلة توجد قبل الإعداد أو بعده، وتظهر أهميتها وقت استخدامها، فالخطابة وسيلة، والخطبة أسلوب وهكذا، وإن القرآن الكريم أسلوب للدعوة، ينقل إلى الناس بوسائل عديدة مثل: المشافهة، والكتابة، وآلة تكبير الصوت وهكذا [٢].

وإنما ذُكر التفريق بين الأسلوب والوسيلة؛ لخلط كثير من الناس بينهما، ويرون المقالة والخُطبة والدرس وسائل للدعوة، مع أنها تشتمل على أساليب تنقل الفكرة إلى المستمعين بواسطة الاتصال الشفهي الذي هو الوسيلة.

ويرجع سبب الخَلْط إلى تداخل النظرة إلى هذه الموضوعات؛ لأنها تكون وسائل أو أساليب باعتبار الجانب المنظور إليه.

فإن الخطابة والكتابة وغيرها قد تكون وسائل للدعوة، إذا نُظِر إليها من ناحية هيكلها العام، وشكلها الفني، وتكون أساليب إذا نُظِر إلى الكلمات المنقولة من خلالهما، المتضمنة للمعاني المقصودة.

وبالجملة فإن الدعوة إلى الله تعالى تحتاج إلى دعاة مدربين، يجيدون فن التعامل مع الأساليب المختلفة اللازمة للدعوة في هذا العصر الذي نعيشه، وكذلك تتفق مع الظروف

(١) ينظر: فقه الدعوة إلى الله في صحيح الإمام البخاري، سعيد القحطاني، (١١٢١/٢)، مرجع سابق.

(٢) انظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد غلوش، (٤٣٦)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

المتنوعة التي تحيط بالمدعوين، ويتقنون استعمال الوسائل العديدة المتاحة في هذا العصر الزاخر بالمكتشفات العلمية الحديثة، وبالتقدم العلمي التقني الهائل.

المطلب الأول

التعلق بالله تعالى وأثره في نجاح الدعوة

من أعظم الوسائل التي تعين الداعية على تبليغ دعوته إلى المدعوين؛ صدق التعلق بالله تعالى، فالداعية لابد أن يكون لديه حال مع الله وعلاقة وطيدة بالله سبحانه وتعالى؛ حتى يلتمس العون من الله تعالى على تبليغ دعوته.

تتجلى لنا هذه الوسيلة من خلال آيات القرآن الكريم، والتي بيّن الله فيها الحال الذي كان عليه موسى ﷺ من كثرة الذكر والتسبيح، فلما علم نبي الله موسى ﷺ بتكليف الله تعالى له، طلب من الله انشراح الصدر، والتوفيق والعون من الله تعالى على تبليغ الدعوة لفرعون وقومه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ □ [1].

فالداعية لابد أن يكون شديد القرب من الله تعالى في كل وقت من أوقاته، حتى يوفقه الله، وحتى يكون قدوة أمام الناس لأن يمتثلوا لأمره وينتهوا لنهيه.

كذلك نجد تعلق موسى ﷺ بالله في موضع آخر، حيث يقول تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ [2].

فمن خلال الآيات نرى كيف أن موسى ﷺ كان دائم اللهج بذكر الله، دائم اللجوء والاستغفار بين يدي الله تعالى، كذلك واجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يكونوا دائمي

(١) سورة طه، الآية: ٢٥-٢٨

(٢) سورة القصص، الآية: ١٥-١٧

التعلق واللجوء إلى الله تعالى؛ لما في ذلك من عظيم الأثر على المدعوين، وعلى نجاح الدعوة.

"فالداعي إلى الله يحذر أن يحل عليه غضب الله، أو يقطع عنه مدده وعونه ونصره وتأييده وحفظه، ولهذا فهو دائم التعلُّق بالله، شديد الحذر من الوقوع فيما يغضب الله تعالى، فهو دائم المراقبة لربّه، دائم التفتيش في زوايا نفسه؛ لئلَّا ينبت فيها شيء من الرياء –وما أصعب التوقي منه–، أو طلب السمعة عند الناس، أو الإعجاب بالنَّفس وبالتعالي على الخلق، والمَنِّ بما يقوم به من أمور الدعوة، إلى غير ذلك من أقذار المعاصي القلبية، فإنَّ الله تعالى لا تخفى عليه خافية" (١).

المطلب الثاني

الحرص على هداية المدعوين، والتودد إليهم

كذلك من الوسائل الدعوية من خلال قصة موسى عْ: التودد إلى المدعوين والحرص على هدايتهم، فالمدعوون حين يرون من الداعية حبه لهم، وحرصه على هدايتهم، وتوده إليهم؛ يكون هذا دافعًا للمدعوين إلى تصديقه والامتثال لدعوته.

فلقد مدح الله عزّ وجلّ نبيه محمداً ﷺ بقوله: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢)، ولهذا دعا ﷺ لدَوْس ولم يدع عليهم حينما طلب منه ذلك؛ قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ، عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ»(٣)؛ لحرصه على هدايتهم ودخولهم في الإسلام، وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة في حرصهم على هداية المدعوين، "وهذا من الأخلاق الفاضلة، أن يدعو لهم بالهداية، ويقول

(١) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (ص٤٥٣)، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤٢١هـ.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، (٤/٤٤)، برقم: (٢٩٣٧).

للمدعو: هداك الله، أعانك الله على قبول الحق، تدعوه وترشده وتصبر على الأذى، ومع ذلك تدعو له" (١).

كذلك نرى نبي الله ﷺ حريصًا كل الحرص على دعوة فرعون، متوددًا إليه، مخاطبًا له باسمه (فرعون)، فموسى ﷺ خاطب المدعو بلقب مثله، فناداه بلقب ملوك مصر "يا فرعون"، وكل من ملك مصر كان يلقب بفرعون، كما أن من ملك الفرس يلقب بكسرى، والشام قيصر، والحبشة النجاشي، واليمن تبعاً (٢)، ولكل بلد وعصر ألقابه، فعندنا يلقب الوزراء ومن في رتبتهم بـ"معالي"، والقضاة وأضرابهم بـ "فضيلة"، قال ابن عاشور$: "والظاهر أن خطاب موسى فرعون بقوله: "يا فرعون" خطاب إكرام؛ لأنه ناداه بالاسم الدال بحسب متعارف أمته، فليس هو بترفع عليه؛ لأن الله تعالى قال له ولهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (٣)، والظاهر أيضاً أن قول موسى هذا هو أول ما خاطب به فرعون كما دلت عليه سورة طه" (٤).

المطلب الثالث

الإيجاز في عرض الدعوة على المدعوين

كذلك من وسائل نجاح الدعوة: الإيجاز في عرض الدعوة، فكثير من الدعاة هذه الأيام يستطرد في خطبته، أو درسه أو دعوته عمومًا مما يسبب السآمة لدى المدعوين.

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن باز، (ص٤٧)، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٢) البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، (١٩٢/٢)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ.

(٣) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (٣٧/٩)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

فالواجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يوجزوا في عرض الدعوة بأقل الكلمات، وأن تكون الكلمات واضحة موجزة بأسلوب سهل؛ لتخترق القلوب قبل الآذان، ونرى ذلك واضحًا من خلال قصة موسى عْ، حيث نجد أن الاختصار كان من ملامح دعوته، ومن شواهد ذلك هذا الحوار الذي دار بينه وبين فرعون، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [1].

فمن خلال الآيات السابقة نرى أن موسى عليه السلام استخدم أسلوب الإيجاز في عرض الدعوة على فرعون، وإيصال الدعوة في أوجز أسلوب وأسهل عبارة، مع إثبات نبوته عليه السلام، وإبطال دعوى فرعون بأنه إلهًا.

فالداعية إلى الله تعالى على بصيرة، سهل في عبارته، صريح في كلامه، لا يحتمل كلامه وجهين، فحينما ذهب موسى وهارون إلى فرعون كانا في ذهنهما عدة قضايا محددة لم يحيدوا عنها:

الأولى: إلانة القول مع فرعون، والثانية: السماح بإخراج بني إسرائيل من مصر، والثالثة: الإفراج عمن يعذبهم، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٤-٢٦.

بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿ ٤٧ ﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿ ٤٨ ﴾ (١).

المطلب الرابع

أسلوب الموعظة الحسنة من خلال قصة موسى غ

الموعظة الحسنة هي: "الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب" (٢)، فجناحاها الترغيب، والترهيب، وعلى ذلك فالموعظة الحسنة أو اللين في القول من الأساليب الهامة لكل داعي إلى الله تعالى؛ بها يستطيع الداعية السيطرة على قلوب المدعوين، وقد أمر الله تعالى الدعاة إليه باستخدام اللين والموعظة الحسنة في الدعوة إليه تعالى قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٣).

وبالتأمل في قصة موسى غ نرى أنه استخدم أسلوب الموعظة الحسنة في دعوته إلى فرعون، المشتمل على الترغيب والترهيب كيف لا؟ وهو يتبع في ذلك أمر الله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٤)، وقال سبحانه: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿ ٤٧ ﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿ ٤٨ ﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴿ ٤٩ ﴾ ﴾ (٥).

فعندما نتأمل هذه الآيات نرى أن نبي الله غ استخدم أسلوب الموعظة الحسنة بجناحيه الترغيب والترهيب عند دعوته لفرعون، وفي اللقاء الأول الذي جمعهما، فقد أمر الله تعالى موسى بأن يجمع في خطابه لفرعون بين الترغيب والترهيب في آن واحد؛ ﴿ هـ هـ ے ے ﴾.

(١) سورة طه، الآية: ٤٧-٤٨.

(٢) التفسير القيم، للإمام بن القيم، (ص٣٤٤)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٤) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٥) سورة طه، الآية: ٤٧-٤٩.

قال الشوكاني: "التذكير: النظر فيما بلغاه من الذكر، وإمعان الفكر فيه، حتى يكون ذلك سبباً في الإجابة، والخشية هي خشية عقاب الله الموعود به على لسانهما" (١).

ويظهر الترغيب في خطاب موسى في قوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ٤٧ ﴾(٢). □ فهو وعد ضمني لفرعون بأنه إن اتبع الهدى حصلت له السلامة.

ويظهر الترهيب في خطابه في موضعين:

الموضع الأول: ترهيب صريح، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾(٣).

والموضع الثاني: ترهيب غير صريح، وهو قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (٤).

يقول الطاهر ابن عاشور: "والسلام: السلامة والإكرام، وليس المراد به هنا التحية، إذ ليس ثم معين يقصد بالتحية، ولا يراد تحية فرعون لأنها إنما تكون في ابتداء المواجهة لا في أثناء الكلام..، و(على) للتمكن، أي: سلامة من اتبع الهدى ثابتةٌ لهم دون ريب، وهذا احتراس ومقدمة للإنذار الذي في قوله: (إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى)، فقوله: (والسلام على من اتبع الهدى) تعريض بأن يطلب فرعون الهدى الذي جاء به موسى ﷺ.

وقوله: (إنا قد أوحي إلينا) تعريض لإنذاره على التكذيب قبل حصوله منه؛ ليبلغا الرسالة على أتم وجه قبل ظهور رأي فرعون في ذلك؛ حتى لا يجابهه بعد ظهور رأيه بتصريح توجيه الإنذار إليه، وهذا من أسلوب القول اللين الذي أمرهما الله به.

(١) فتح القدير، (٤٣٣/٣)، وانظر: الكشاف، للزمخشري، (٦٦/٣).
(٢) سورة طه، الآية: ٤٧.
(٣) سورة طه، الآية: ٤٨
(٤) سورة طه، الآية: ٥٥

وإطلاق السلام والعذاب دون تقييد بالدنيا أو الآخرة تعميم للبشارة والنذارة، قال تعالى في سورة النازعات: ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿ ٢٥ ﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿ ٢٦ ﴾ [(١)(٢)].

فمن خلال ما سبق ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى الالتزام بأسلوب الموعظة الحسنة في دعوتهم للناس، الموعظة الحسنة التي تشتمل على الترغيب فيما عند الله من مضاعفة الأجر والثواب، والترهيب من معصيته ومخالفة أوامره.

فأسلوب الموعظة الحسنة من الأساليب المقربة لقلوب المدعوين إلى الداعي، والمُشجعة لامتثال الناس إلى خطبته أو موعظته.

المطلب الخامس

المجادلة بالتي هي أحسن من خلال قصة موسى ﷺ

الجدل: هو تردد الكلام بين اثنين، إذا قصد كل واحد منهما إحكام قوله ليدفع به قول صاحبه، وهو مأخوذ من الإحكام، يقال: درع مجدولة، إذا كانت محكمة النسج، وحبل مجدول، إذا كان محكم الفتل. والأجدل، هو الصقر عندهم. والجدالة: وجه الأرض، إذا كان صلبًا، ولا يصح الجدل إلا بين اثنين. ويصح النظر من واحد [(٣)]، فالجدال لإثبات الحق ورد الباطل مأمور به.

وقد استخدم موسى ﷺ أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن مع فرعون في محاورته له، فبعد أن ألآن معه الكلام امتثالًا لأمر الله تعالى، ولما وجد من فرعون العناد والتجبر والتكبر والغرور فخاطبه بالخطاب الملائم لتجبره وتسلطه؛ ألا وهو" الجدال بالتي هي أحسن".

وقد حوت الآيات القرآنية جانبًا من هذا الجدال، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٢٣ ﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿ ٢٤ ﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿ ٢٥ ﴾

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٥-٢٦.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (١٦/٢٣٠-٢٣١)، مرجع سابق.

(٣) العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى الفراء، تحقيق: د أحمد بن علي بن سير المباركي - جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، ط الثانية١٤١٠ هـ

قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿ ٢٦ ﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿ ٢٧ ﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ ٢٨ ﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿ ٢٩ ﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿ ٣٠ ﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ ٣١ ﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿ ٣٢ ﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿ ٣٣ ﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿ ٣٤ ﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿ ٣٥ ﴾ □ (١).

ففي هذه الآيات يتجلى لنا الأسلوب الذي خاطب به موسى ﷺ فرعون، فأول الأمر سئل فرعون بهدوء (قال فرعون: وما رب العالمين؟) فأجاب موسى عليه السلام بهدوء أيضاً: (قال: رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين!)

فاستهزأ فرعون وتهكم (قال: لمن حوله ألا تستمعون؟!) فلم يعبأ موسى عليه السلام بتهكمه، واسترسل في بيان "رب العالمين" بتهكم ضمني بدرجة تهكم فرعون (قال: ربكم ورب آبائكم الأولين!) فتهكم موسى عليه السلام ضمناً بدعوى فرعون الربوبية، بأن الرب الذي أرسل موسى هو ربك يا فرعون ورب الحاضرين ورب آبائكم الأولين أيضاً.

فلما تمادى فرعون، شدد موسى في جداله واتهمه بالجنون (قال: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون!)

فلم يستكن موسى عليه السلام أو يخضع لأجل الحجج التي تردد وتنزل في غير محالّها، بل خاشنه عليه السلام وهو مستمر في بيان "رب العالمين" (قال: رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون!) فلوح لهم موسى عليه السلام بأن فرعون ومن معه "بمعزل من دائرة العقل، وإنهم المتصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون" (٢).

قال الزمخشري: "فإن قلت: كيف قال –يعني موسى ﷺ– أوّلاً: (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ)، وآخراً: (إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) قلت: لاين أوّلاً (٣)، فلما رأى منهم شدّة الشكيمة في العناد وقلة

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٣-٣٥

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، (٤٥٢/٧)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط الحلبي.

(٣) وحقيقة "اللين" يشمل الحالين أولاً وآخراً؛ فإنّ القول اللين لا يعني القول الخاضع بل هو أوسع من هذا.

الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن وعارض: (إنّ رسولكم لمجنون)، بقوله: (إن كنتم تعقلون) [١].

وفي الحقيقة فإن الملاينة من موسى تشمل الحالين: أولاً: (إن كنتم موقنين)، وثانياً: (إن كنتم تعقلون)، فالقول اللين لا يعني القول الساكن المتطامن؛ بل الذي يجمع بين الترغيب والترهيب، ويهدأ في موطن الهدوء ويشتد في موطن الشدة كما مرَّ. قال الطاهر بن عاشور: "لما رأى منهم المكابرة ووصفوه بالجنون خاشنهم في القول، وعارض قول فرعون: (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون)، فقال: (إن كنتم تعقلون) أي: إن كنتم أنتم العقلاء، أي: فلا تكونوا أنتم المجانين، وهذا كقول أبي تمام للذين قالا له: (لم تقول ما لا يفهم) قال: (لم لا تفهمان ما يقال) [٢].

"وإذا تأملت فإن لفظ موسى ﷺ (إن كنتم تعقلون) أشد خشونة من لفظ فرعون (لمجنون)، ووجهه ما يلي:

١-أن المجنون له عقل وإدراك لكنه غير تام، وهذا الإدراك يتفاوت من مجنون إلى آخر.

٢-من الجنون ما يكون غير مطبق فيفيق في بعض الأحوال كالصحيح.

وحينئذٍ فالمجنون أحسن حالاً من الذي لا عقل له رأساً، وليس لديه إدراك لا تام ولا ناقص" [٣].

وهكذا اتضح لنا المواطن التي استخدم فيها موسى ﷺ أسلوب الجدال، وأن خطابه لفرعون وملأه كان أشبه بالمناظرة، وكذا يجب على الدعاة أن يلتزموا هذا الأسلوب ـ الجدال بالتي أحسن ـ مع المدعوين المعاندين المتجبرين.

وإذا استخدم الداعية هذا الأسلوب لابد له من آداب، وشروط يجب أن يراعيها ليتحقق المطلوب، ولئلا يكون سببًا في نفور الناس من دعوته.

(١) الكشاف، (٣٠٨/٣)، وانظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي، (١٣٦/٤).

(٢) التحرير والتنوير، (١٢١/١٩)، مرجع سابق.

٣) القول اللين كما طبقه موسى، نايف القفاري، بحث منشور بشبكة الألوكة، ١٤٤٠/٩/٢٣١٨ هـ. تاريخ الزيارة: ١٤٤٢/٩/١٠هـ.

كذلك إذا صح في الدعوة إلى مجادلة لإقناع المدعو، فلتكن المجادلة بالتي هي أحسن، يدعي المجادل إلى الحق ويبين محاسن الحق ومضار الباطل، ويرد عما يعترض به الخصم من الشبهات، كل ذلك بكلام لطيف وأدب حسن، لا بعنف أو غلظة، أو مخاشنة وشماتة، فإن ضرر ذلك عظيم.

فعلى الداعية المجادل أن يحترم الطرف الآخر، وأن يقدره، وأن يتواضع له، وينصت إليه، وينتظر أن يفرغ من كلامه، وأن يقبل منه الحق إذا ظهر معه وأن يعترف به، وهكذا فهذا أدعى إلى أن يكون المدعو كذلك يستجيب، وينصاع إلى الحق في النهاية. وهو المراد.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الخاتمة

وبعد هذا العرض يمكن أن نستخلص النتائج الآتية:

١- أن جميع دعوات الرسل عليهم السلام متفقة في أصل واحد، هو الدعوة إلى توحيد الله جل وعلا.

٢- الكفر ملة واحدة؛ فنرى أن موقف الكفار والمشركين مع كل نبيٍ واحد، وهو موقف العناد والتجبر والتعنت.

٣- إتباع الشيطان والهوى وشهوات الدنيا سبب رئيس في إعراض الخلق عن الحق.

٤- الثبات على الحق والمبدأ، سمة رئيسة في جميع الأنبياء والمرسلين.

٥- قدرة الأنبياء عليهم السلام على الإقناع بالحجة النظرية، والحجة العملية لها أثرها البليغ في تبليغ الدعوة للمدعوين

٦- أن العذاب لا ينزل بالأمة إلا بعد إقامة الحجج القاطعة عليهم، كما ظهر من خلال قصة موسى عليه السلام.

٧- وجوب التدرج بالوسائل والأساليب في دعوة الناس؛ لاستمالة قلوبهم نحو الحق.

٨- لم يدع أحد الربوبية غير فرعون، وهذا الادعاء كان في الظاهر لا في الباطن، فوجود الله تعالى أمر مستقر في كل نفس.

٩- انتهج موسى ﷺ أساليب الدعوة الممكنة والتي يمكن أن تكون سببًا في نجاح دعوته لفرعون وملأه.

١٠- امتثل موسى عليه السلام لأمر الله تعالى ولاين فرعون، ولكن لما تجبر فرعون وطغى في كلامه، شدد معه موسى عليه السلام، فالملاينة لها وقتها وموضعها، والشدة لها موضعها ووقتها.

١١- أن الأمة المستضعفة، ولو بلغت في الضعف ما بلغت، لا ينبغي أن يستولي عليها الكسل عن السعي لنيل حقوقها، ولا اليأس من الارتقاء إلى أعلى الأمور، خصوصًا إذا كانوا مظلومين، فبنوا إسرائيل على ضعفها واستعباد فرعون وملئه لهم، لما قاموا لنصرة الحق مكنهم الله في الأرض.

١٢- ينبغي أن يكون الدعاة على قدر من الصبر والتحمل، وأن يدركوا أهمية الدعوة ووجوب تبليغها بإخلاص وأمانة، وأن يطلبوا العون من الله تعالى، وألا يستسلموا لليأس، وأن يوقنوا أن النصر في النهاية من عند الله للحق، وأن الهزيمة للباطل، وأن يبادروا إلى مد العون للمعارضين فيما لا يغضب الله أملًا في إيمانهم، وأن يطلبوا من المؤمنين الصبر والاستعانة بالله، وأن يعدوهم برحمة الله التي وعد بها عباده الصالحين في كتابه العزيز.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المراجع والمصادر

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المراجع.

١. أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤٢١هـ.
٢. الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، محمود السيد حسن مصطفى، مكتبة شباب الجامعة...
٣. أنوار التنزيل للبيضاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان
٤. البحث العلمي أساسياته وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدي، دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٠م.
٥. البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ.
٦. بدائع الفوائد لابن القيم، دار الكتاب العرب، بيروت، لبنان.
٧. تاج العروس، محمّد بن محمّد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية. (د، ط).
٨. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٩. التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.
١٠. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١١. التفسير القيم، للإمام بن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ
١٢. تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان القنوجي، تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، دار الفكر العربي،١٤١٢هـ/١٩٩٢م
١٣. تلبيس إبليس، عبد الرحمن الجوزي، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة: ط١، ١٤٢١هـ.
١٤. التوحيد مع إخلاص العمل والوجه لله تعالى، ابن تيمية، تحقيق د/محمد السيد الجلتيد، مؤسسة القرآن، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة ط٢ـ ١٤٠٧هـ،
١٥. تيسير العزيز الحميد، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب، تحقيق: أسامة بن عطايا العتيبي، دار الصميعي للنشر والتوزيع
١٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٧. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٨. خصائص القرآن الكريم، د. فهد الرومي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٩. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م
٢٠. الدعوة الإسلامية العطاء الإلهي الأخير للإنسانية د/ عبد اللطيف محمد عبد اللطيف العشماوى .١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دار نور الإسلام للطباعة والنشر.
٢١. دعوة التوحيد، د. محمد خليل الهراس، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٢٢. دعوة التوحيد، محمد خليل الهراس، ط١، دار الكتب العلمية،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٢٣. الدعوة إلى الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
٢٤. الدعوة إلى الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
٢٥. الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن باز، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٢٦. الدين الصحيح يحل جميع المشكلات، المجموعة الكاملة، السعدي، دار الشريف، الرياض
٢٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٢٨. السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٩. شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، ط١، دار الوطن للنشر، الرياض ،١٤٢٦هـ،
٣٠. شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
٣١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن نصر الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٣٢. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، لمحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
٣٣. صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. د، ط.
٣٤. العبرة في قصة موسى عليه السلام، محمد خيري عدوي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام عبد العزيز،١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٣٥. العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى الفراء، تحقيق: د أحمد بن علي بن سير المباركي، جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، ط ٢، ١٤١٠ هـ
٣٦. العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أحمد بن حنبل، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ.
٣٧. فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٣٨. فتح البيان في مقاصد القرآن، تفسير صديق خان، دار الفكر العربي.
٣٩. فتح القدير، محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ
٤٠. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد القحطاني، سالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة١، ١٤٢١هـ
٤١. القاموس المحيط، مجد الدين محمد الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٤٢. قصص الأنبياء، ابن كثير، دار المستقبل، ط١، عام ٢٠٠٥م
٤٣. قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.
٤٤. القول اللين كما طبقه موسى عليه السلام، نايف القفاري، بحث منشور بشبكة الألوكة.

٤٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٤٦. لسان العرب لابن منظور، ط دار صادر بيروت، الثالثة ١٤١٤هـ.
٤٧. اللغة وتطورها، الشيخ عبد العاطي خلاف، ط ٣. ١٩٢٤م.
٤٨. مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية، وزارة الشئون الإسلامية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٤٩. محاسن التأويل، محمد القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، الحلبي للنشر، ١٣٧٦هـ.
٥٠. مدارج السالكين، ابن القيم، دار الصميعي،١٤٣٢هـ/٢٠١١م
٥١. المدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، الطبعة الرابعة، دار الرسالة العالمية،٢٠١٠م/١٤٣١هـ
٥٢. المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
٥٣. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ.
٥٤. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م
٥٥. معجم لغات الفقهاء، محمد قلعجي، دار النفائس للنشر والتوزيع بيروت، لبنان،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م
٥٦. مفاتيح الغيب، للإمام الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٥٧. مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٥٨. مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، ونظر، وتطبيق، سعيد القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.
٥٩. منهج شيخ الإسلام بن تيمية في الدعوة، د. الحوشاني، دار إشبيليا، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ط١.
٦٠. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة٤، ١٤٢٠ هـ
٦١. وسائل الدعوة، د. عبد الرحيم المغذوي، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة ١، ١٤٢٠هـ.